

النفسير المطول - سورة آل عمران 003 - الدرس(60-09): تفسير الآيات 20 - 25  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-01-2001

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنـه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة الكرام ، مع الدرس التاسع من دروس سورة آل عمران ، ومع الآية العشرين ، وهي قوله تعالى :

( فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَّبَعَنِي )

**فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَّبَعَنِي**

**1 - وجه الله :**

( وجهي) أي ذاتي ، وقد استدل بعض العلماء بقوله تعالى :

( كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ(26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ نُوَجَّلَ وَالْإِكْرَامُ )

(سورة الرحمن)

وجه ربك أي ذاته العالية .

ومن أجمل ما قاله المفسرون في تفسير قوله تعالى :

( كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ(26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ نُوَجَّلَ وَالْإِكْرَامُ )

(سورة الرحمن)

فكل عمل يعمله ابن آدم إلى زوال إلا عملٌ واحدٌ ابتغى به وجه الله ، هذا الذي يبقى إلى أبد الآبدين ، وهذا الذي يسعده إلى أبد الآبدين ، وهذا الذي يلقى جزاءه في يوم الدين .

إذا :

( فَإِنْ حَاجُوكَ )

## الإنسان يستعمل عقله لتجطية انحرافاته :

الإنسان أوتي جدلاً ، لأنه أوتي فكراً ، هذا الفكر خلقه الله ليكون أداة معرفته ، قد يستغل لغير ما خلق له ، قد يستغله الإنسان ليغطي انحرافاته ، لذلك الجدل في القرآن مذموم ، وفي السنة أيضاً مذموم ، فعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(( ما ضلّ قومٌ بَعْدَ هُدًى كَاتُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَنَلَ ، ثُمَّ تَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ ))  
الآية : ( ما ضرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَ بِنْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ) )

[ الترمذى ابن ماجه ، أحمد ]

حينما يفكر الإنسان ليبرر ، يفك ليعطي سلوكه المنحرف ، ليس بغ على سلوكه المنحرف مبررات ، ومسوّغات معقولة ، إنه يستخدم فكره لغير ما خلق له .

لذلك مرأة جاءني شابٌ وقال لي : أنا ملحد ، قلت له : والله إن كان إلحادك عن منفعةٍ تنتفع بها فلست مستعداً أن أجلس معك ولا دقيقة ، أما إن كان إلحادك عن قناعةٍ بريئٍ فأنا أجلس معك ، فأقسم لي بالله إنه عن قناعةٍ ، ولا عن انتفاع ، والمنتفع بكفره لن يؤمن .

كنت أضرب مثلاً لعله طريفٌ ، أن إنساناً عنده دابة يعمل عليها ، فلما ماتت بنى عليها بناءً ، وأعطى اسمًا لولي من عقله ، من اختراعه ، وجاءه الناس بالهدايا ، والإكرامات ، وعاش في بحبوحةٍ ما بعدها بحبوحة ، هل هناك قوة في الأرض يمكن أن تقنعه أن الذي دفن هنا حمار؟ أو دابة؟ لا ، مستحيل ، هو دفنه بيده ، قناعته بأن هذا المدفون دابة أشد من قناعة الذي يجادله ، ولكن هذا الدخل الكبير الذي جاءه بسبب هذه الخدعة ، هذه لن تجعله يقرُّ بالواقع ، هو منتفعٌ بهذا الاقتراء ، فالإنسان حينما ينتفع بكمبِ ، أو بنفاق ، أو له مصلحة هذا لا ينافق ، والأولى لا تناقضه ، وإلا فلست على علم ، ولست على وعيٍ إطلاقاً ، المنتفع بكفره لا ينافق ، المنتفع بنفاقه لا ينافق ، المنتفع بفكرةٍ معينة ، بطرح معين ، برأي معين ، بمذهبٍ معين ، المنتفع لا ينافق ، لأنه استخدم عقله لغير ما خلق له .

لذلك كلمة الجدل أينما وردت في القرآن ليست ممدودة ، بل هي مذمومة :

(( ما ضلّ قومٌ بَعْدَ هُدًى كَاتُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَنَلَ ))

[ الترمذى ابن ماجه ، أحمد ]

وال المسلمين حينما تخلفوا عن تطبيق منهج ربهم دخلوا في متأهاتٍ فيما بينهم ، وأتوا الجدل ، وجعل بأسمهم بينهم ، ويأتون بجزئيات الدين ويكتبونها ، و يجعلونها أصلًا في الدين ، ويقيمون الدنيا ولا يقعدونها إذا خالفهم أحدٌ في رأيهم ، هذا أيضًا من حب الدنيا .

فلذلك :

( فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِ )

#### 3 - فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ

إنَّ حقيقة هذا الدين أن تطيع الله ، حقيقة هذا الدين يغلب عليها الطابع العملي ، طابع التدين عملي ، وليس كما يقولون : نظري ، نظريًا هناك أناسٌ كثيرون لهم اهتمامات إسلامية ، لهم ثقافة إسلامية ، يجادلون ، يحاورون ، يناقشون ، ينحازون ، وأحيانًا يفعلون المُنكرات من أجل إثبات رأيهم أو اتجاههم، والله عزَّ وجلَّ يقول :

( فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ )

أسلمت ذاتي له ، وخضعت لأمره ، وانصوت لأمره ، وأنا مطبق لأمره .

( وَمَنْ اتَّبَعَنِ )

#### 4 - وَمَنْ اتَّبَعَنِ

إذاً : على أي شيء كان النبي وأصحابه ؟ كما ورد في بعض الأحاديث عن عبد الله بن عمرو قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(( لَيَأْتِينَ عَلَى أَمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَدَّوْ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أَمَّةً عَالَانِيَةً لَكَانَ فِي أَمَّتِي مَنْ يَصْنُعُ ذَكَرَ ، وَإِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِتَّيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفَرَّقَ أَمَّتِي عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً ، قَالُوا : وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ :

مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي ))

[ الترمذى ]

لذلك أكبر تهمة توجه للمنحرفين عقدياً وسلوكياً أن تقول لهم : أنتم لستم على ما كان عليه النبي وأصحابه .

أول خطبةٍ خطبها الصديق رضي الله عنه قال فيها : < إنما أنا متابع ولست بمبتدع ، أطيعوني ما أطع الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم > ، أنا متابع ، والنبي عليه الصلاة والسلام وهو في أعلى درجة من الرقي يقول :

( إِنَّمَا أَتَّبَعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ )

ثلاث نصائح تكتب على ظفر : اتبع لا تبتعد ، اتضع لا ترتفع ، الورع لا يتسع ، انفق باعتدال ، لا تصرف ، والمترفون في القرآن الكريم في ثمانى مواضع هم كفار :

( وَأَثْرَفُتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا )

( سورة المؤمنون : من الآية 33 )

فاتبع لا تتبع ، اتضع لا ترتفع ، الورع لا يتسع .

**إذا عم النقاش غير الموضوعي فعليك بكتاب الله وسنة رسوله :**

أيها الإخوة ، مرة ثانية : هناك عقل صريح ، هذا أداة معرفة الله ، وهناك عقلٌ تبريري ، هذا أداة لغطية الانحراف ، وما كلُّ فكرٍ تقرأه فكراً صريحاً ، قد يكون فكراً تبريرياً ، قد يكون فكراً لغطية انحرافٍ شديد ، الإنسان منطقى في الأساس ، حتى لو ارتكب جرائم يفسف هذه الجرائم ، ويجعلها مبررة ، حتى لو أكل أموال الناس بالباطل ، يفسف هذا الانحراف ، حتى لو كان زير نساء ، له كلامٌ مزینٌ يقوله ، فالعبرة ما جاء به الوحي ، فهناك مقولات لا تنتهي ، هناك طروحات لا تنتهي ، هناك آراء لا تنتهي ، العبرة أن تصطفى من كل هذه المقولات ما جاء به الوحي ، لأنَّه من عند الله ، ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، لأنَّه لا ينطق عن الهوى ، القاعدة الثابتة التي لا تترجح ، ولا تنزلزل الكتاب والسنة ، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدِي أبداً كتاب الله وسنة رسوله ، هذا منهج ، هذا صراطٌ مستقيم ، هذا حلُّ الله المتبين ، هذه سنة النبيين ، إذا انتشر الجدال ، وعمَّ النقاش السفسطائي ، إذا فشا الحوار غير موضوعي فقل :

( أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي )

فعندها نقل ، وهو الدين ، وعندنا عقل ، العقل له دورٌ في التأكيد من صحة النقل قبل أن نقرأ النقل ، وله دورٌ في فهم النقل بعد أن نقرأ النقل ، له دورٌ قبل النقل في التأكيد من صحته ، ودورٌ بعد النقل في فهمه، لكنَّ لن يكون العقل حكماً على النقل ، لأنَّ العقل قد يخطئ ، وقد يصيِّب ، وقد يبالغ ، وقد يرتبط بواقع معين ، فكما أنَّ أجدادنا لو قاموا من قبورهم ، ورأوا ما فعله الإنسان من إنجازات لم يصدقواها ، لأنَّ عقولهم وقتها مرتبطة بواقع معين ، لكنَّ حينما يرونَ أنَّ هذه الأشياء المستحيلة أصبحت واقعاً ، إذا

أنكروها ما كانوا على صواب ، إذا : العقل مرتبط بالواقع ، أما النقل فمرتبط بخالق الأكون بشكلٍ أو بأخر ..

( فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينِ )

وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينِ

الأميون هم مشركي العرب :

الأميون هنا أي مشركي العرب ؛ لا دين لهم ، هم على فطرةٍ فيها سذاجة ..

( مَا نَعْدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفِي )

( سورة الزمر : من آية " 3 " )

ففي الجزيرة كان هناك مشركون ، وكان هناك أهل كتاب ..

( وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينِ أَسْلَمْتُمْ )

معنى : أَسْلَمْتُمْ

المعنى الأول :

أيها الإخوة ... أسلتم ، أي أسلموا ، يعني لم تسلمو بعد ؟! أسلتم ، أي أسلموا ، وماذا تنتظرون ؟  
هذا المعنى الأول .

المعنى الثاني :

هو تهديد ، أسلتم أم لم تسلمو ؟  
أول معنى تقرير ، وفيه معنى الإنشاء - الأمر - وفيه معنى الاستفهام التقريري ، لم تسلمو بعد ؟ وفيه  
معنى الطلب ، أسلموا ، ومعنى التهديد أسلتم ، أم لم تسلمو ؟ ..  
( وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينِ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقْدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ )

## ١ - مهمة الأنبياء التبليغ والقدوة :

الإنسان مخَير ، ومهمة الأنبياء تنتهي بالتبليغ ليس غير ، هناك مهمتان كبيرتان للنبي الكريم ؛ إحداهما مهمة التبليغ ، وثانيتها مهمة القدوة ، ولعل مهمتا القدوة أخطر ، وأبلغ من مهمة التبليغ ، فأيّ إنسان أوتي فصاحة ، وبياناً ، وذكرةً ، وفهمًا ، وحفظاً يُبلغ ، لكن الذي يؤثر ، هناك من يقنعك ، وهناك من يحملك على اتخاذ موقفٍ معين ، الذي يقنعك فصيحٌ بلغٌ عالم ، أما الذي يحملك على أن تقف موقفاً إيجابياً من الدين فهو القدوة ، لذلك نحن في حاجةٍ ماسةٍ إلى قدوةٍ صالحة .

كيف قيل : إن النبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي ، نحن في حاجةٍ إلى مسلمٍ يتحرك أمامنا ، مسلم صادق ، أمين ، عفيف ، طاهر ، منصف ، متواضع ، رحيم ، هذا أبلغ كما كنت أقول لكم دائمًا : حال واحدٍ في ألف أبلغ من قول ألفٍ في واحد ، قول ألف رجلٍ فصيحٌ في واحد ربما لا يؤثرون ، وحال إنسان مخلص ، متصلٍ بالله ، وحال واحدٍ أبلغ من قول ألف .

إذاً :

( وَقَنْ لِلَّذِينَ أَوْثَوْا الْكِتَابَ وَالْمُمْيَّنَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقْدْ اهْتَدَوْا )

لذلك ما كل ذكي بعاقل ، قد تكون متفوقاً في اختصاص نادر ، ويدرك ذلك هذا الاختصاص أرباحاً طائلة، وأنت عند الله لست بعالم ، ولست بعاقل ، من هو العاقل ؟ الذي عرف الحقائق الكبرى ؛ الذي عرف الله عزّ وجل ، وعرف حقيقة الكون ، وحقيقة الحياة ، وحقيقة الإنسان ، وعرف مهمة الإنسان في الأرض ، وسر وجوده وغاية وجوده ، فإذا عرف ذلك ، وطبق ما عرف ، صار حكيمًا ، فالذي يؤتى بالحكمة أن تعرف ، وأن تعمل وفق ما عرفت ، فقد أوتي خيراً كثيراً ..

( فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقْدْ اهْتَدَوْا )

## ٢ - إما هدى وإما ضلال :

ليس هناك إثنينية ، الحق واحد ، فإن لم تكن على الحق - لا سمح الله ولا قدر - فأنت على الباطل ، إن لم تستجب لله فأنت تتبع الهوى ، أبداً ، لك عقلٌ صافٌ يأمرك أن تؤمن بالله وأن تطيعه ، ولك نزواتٌ ، وشهواتٌ ، وغرائز تأمرك أن تشبعها بأية طريقة ، فإن لم تكن على الحق فأنت على الباطل حتماً ،

وليس هناك خطٌ ثالث ، فهما خطان لا ثالث لهما ؛ أن تكون متبوعاً للحق ، وأتباع الحق متواذون ، متحابون ، متناصحون ، كما قال عليه الصلاة والسلام :

(( المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متواذون ، ولو ابتعدت منازلهم ، والمنافقون بعضهم لبعض  
غشّة متحاسدون ، ولو اقتربت منازلهم ))

[البيهقي في شعب الإيمان]

(( وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ أَثْنَانٌ فَفَرَقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذُنْبٍ يُحْدِثُهُمَا ))

[أحمد عن ابن عمر]

لو كنا جميعاً على الحق لكان بيننا من الود والحب الشيء الذي لا يوصف ، وهكذا كان أصحاب النبي رضوان الله تعالى عنهم أجمعين ، كانوا على مودة فيما بينهم ، وكان بأسمهم على غيرهم ، أما المسلمين حينما أصابوا ذنوباً كثيرة صار بأسمهم بينهم ، وصار دينهم الجَلَّ .

الإسلام والله بسيط أيها الإخوة ، الإسلام بسيط جداً ، وينبغي أن ننسقه ، هو هواء ينبغي أن نستنشقه دائماً ، حاجتنا إلى الدين ك حاجتنا إلى الهواء ، استنشاق الهواء ليس فيه تعقيد ، ولا فاتورة ، ولا عداد ، أينما ذهبت فهناك هواء تستنشقه ، لذلك الدين حاجتنا إليه أساسية جداً ، الإنسان خلق ضعيفاً ، خلق هلوعاً ، خلق عجولاً ، ما الذي يلغى ضعفه ؟ اتصاله بالله ..

( إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلْوَعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَئُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلَّينَ )

(سورة المعارج)

ما الذي يلغى ضعفه ؟ أن يستعين بالله ..

وما لي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري أدفع

\* \* \*

أنت قويٌّ بالله ، أنت عالمٌ بالله ، أنت حكيمٌ بالله ، أنت غنيٌّ بالله .

أيها الإخوة :

( فَإِنْ حَاجُوكَ فَقْلُ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَبَعَنِ )

### 3 - من الإسلام التسليم بأحكام الله كلها من غير نقاش :

جميل جداً أن تعلل ، وأن تتبين ، وأن توضح ، والأجمل من ذلك أن تتبع ، والمؤمن الصادق لا يعلق تطبيقه لأمر من أوامر الله على فهمه ، أو على فهم حكمته ، هو عندئذٍ يعبد نفسه ، هو عندئذٍ لا يعبد ربه ، متى يعبد ربَّه ؟ حينما يثبت له أن هذا أمر الله ، فيطبقه ، فهمه أو لم يفهمه ، اقتنع به ، أو لم يقتنع به ، أحب ذلك ، أو لم يحب ، لأن في اعتقاده أن علة كل أمر أنه أمر .

مرة كنت في جلسة ، نشب جدل طويل بين التعدد ، وعدم التعدد ، الذي يتحدى عن التعدد هو تعدد ، يعني تزوج عدة زوجات ، ويقول : هو الأصل ، والذي بقي على زوجة واحدة يقول : لا التوحد هو الأصل ، وخالفوا ، قلت كلمة ، قلت : أنا مرأة سمعت سؤالاً موجهاً إلى أستاذة في الجامعة في مصر عن التعدد ، أجبت إجابة لم أر إجابة أكثر وضوحاً وأصولية منها ، قالت : كيف لي أن أدللي برأي في التعدد ، وقد سمح الله به ؟ ما دام قد سمح الله به فلا معنى أن أدللي برأي في التعدد .

فالإنسان يجب أن يوطن نفسه على أن يرى أن هذا أمر الله ، انتهى الأمر ، لا يمكن أن يخضع أمراً إلهياً للمناقشة العقلية ، يفكر فيه بعقله ليكتشف إيجابياته فقط ، ليكتشف حكمته ، أما أن يضعه على بساط البحث ليقبله أو ليرفضه ، معاذ الله ، عندئذ ليس مؤمن ..

( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِ )

(سورة الأحزاب : من الآية 36)

#### 4 - تطبيق أحكام الله لابد أن تكون ابتعاء مرضاته :

بالمناسبة ، هناك معنى دقيق جداً ، أنت حينما تكتشف أن هذا الشيء لصالحك تفعله وتضعف درجة العبادة فيه ، وحينما ترى شيئاً يتضارب مع مصالحك ، وتضع قدمك فوق مصالحك ، وتطبق هذا الشيء ابتعاء مرضاته الله ، يرتفع هنا مستوى العبادة في هذا الشيء ، إذاً : دائماً مستوى التبعيد يرتفع وينخفض بحسب ما إذا كان هذا الشيء واضحاً جداً أنه لصالحك ، والإنسان إذا قام ونظف أسنانه قبل أن ينام ، هل يشعر أنه يضحى في سبيل الله ؟ لا والله ، هو يصون أسنانه ، لأنه واضح جداً أن صيانة الأسنان لمصلحة الإنسان ، إذاً : إذا قام إلى هذا العمل لا يشعر أنه يعبد الله ، مع أن تنظيف الأسنان من السنة ، لكن درجة التبعيد في هذا العمل ضعيفة ، والمصلحة تغلب عليها ، أما حينما يقال لنبي كريم وهو أبو الأنبياء : اذبح ابنك ، وابنه نبيٌّ مثله ، وبلغ معه السعي ، وهو فتىً في ريعان الشباب ، ولا يعلم من هو الابن إلا الأب ، فيقول :

( يَا أَبَتِ افْعُلْ مَا ثُوْمَرُ سَتَجْدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ (102) )

(سورة الصافات)

هذا تنتهي المصلحة ، وينتهي المنطق ، فأنت حينما تقبل على تنفيذ أمر تعارض مع مصلحتك ، فـأثرت طاعة الله على مصلحتك ، أنت ارتقىت إلى أعلى مستوى في العبودية لله ، فإن فعلت هذا انصياعاً لله ، وامتناعاً لأمره دون أن تكشف حكمته ، الآن ، يكافئك الله على هذا الانصياع ، وعلى هذا التبعيد أن يكشف لك حكمته ، فتجمع بين مرتبة العلم وبين مرتبة العبادة ، هذا شيءٌ دقيقٌ جداً ، المؤمن لا يعلق

أبداً على تطبيق أمر إلهي فهمه لهذا الأمر ، لا يجعل فهمه ، وفهم حكمته ، وتعليقه عقبة أمام التطبيق ، ينطلق من قوله تعالى :

( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أُمْرِهِمْ )

(سورة الأحزاب : من الآية 36)

ولكن يكافئه الله أنه يكشف له - كما قيل - : " مَنْ عَمِلَ بِمَا عُلِمَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " ، يكشف الله له حكمة هذا الأمر فيغدو عابداً عالماً في وقتٍ واحد .

لكن أنا لا أقبل أبداً أن تضع الأمر الإلهي على بساط البحث ، فإذا قبله عقلك طبقته ، وإنما تقول : ما قنعت بهذا الأمر ، هذا ليس سلوك المؤمن إطلاقاً ..

( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أُمْرِهِمْ )

أنت مع إنسان من جنسك ، لكنه عالم في الطب ، يقول لك : دع الملح ، ربما لا تجد حاجة إلى أن تسأله : لماذا ؟ يقول لك : هكذا قال الطبيب ، أنت لاحظ نفسك مع الخبراء الذين تستأجر خبرتهم ، تنفذ تعليماتهم بدقة بالغة مثيرة للدهشة ، لأنك تعتقد بأنهم خبراء ، لكن من هو أخبر الخبراء ؟ قال تعالى :

( وَلَا يُبَيِّنُكَ مِثْلُ حَيْرَ (14) )

(سورة فاطر )

اليوم في خطبة الجمعة ذكرت أن قول النبي الكريم :

(( النَّظَرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سَهَامِ إِبْلِيسِ ، مِنْ غَضْبِ بَصَرِهِ أُورَثَهُ اللَّهُ حَلاوةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ ))

[مستدرك الحاكم عن حذيفة ، والطبراني في الكبير]

لكن النبي قال : (( سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سَهَامِ إِبْلِيسِ )) ، فقد يفهم الإنسان أنه تضررت حياته الاجتماعية والنفسية ، ولكن ثبت أخيراً ببحثٍ علمي أجري في البلاد العربية والإسلامية الشقيقة ، ودام هذا البحث عشرين عاماً ، أن الإنسان حينما يُثْبِتُ النَّظَرَةُ تجري في دمه هرمونات جنسية ، هذه الهرمونات تبدل نبض القلب ، وتبدل ضغط الدم ، وتبدل وضع البروستات - هذه الغدة - وتقبض الشريرات المتوسطة والصغرى ، وتوسّع الأوردة المحيطية ، وتبدل في كيمياء الدم ، وهناك آثار لا تنتهي في الجهاز الهضمي ، وفي جهاز القلب والدواران ، وفي الجلد ، كيف أن الغدد الدهنية والعرقية تتسع فوهاتها ، فالنتيجة بحث طويل ، تبيّن أن النَّظَرَةَ إلى المرأة الأجنبية التي لا تحل لك ، إذا أتبعتها نظرةً ونظرَةً ، فكأن هناك سموماً تجري في دمك دون أن تدرِّي ، ولها أثرٌ في القلب والأوعية ، وفي الجلد ، وفي بعض الغدد ، وما إلى ذلك ، فهذا كلام النبي ليس من عنده ..

( وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) )

(سورة النجم )

( فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمَمَيْنَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقُدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ )

أنت بلغ ، وعلى الله الباقي ، أنت إن بلغت أديت الذي عليك ، وبقي الذي لك .  
ثم يقول الله عز وجل :

( إِنَّ الَّذِينَ يَكُفِرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ )

إنَّ الَّذِينَ يَكُفِرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ

## 1 - معنى : وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ

سؤال جدلی : فلو أنهم قتلوا النبيین بحق أ عليهم وذر ؟ هذا مرفوض ، هذا السؤال ، لأن هذا ليس قیدا احترازیا - كما يقول علما الأصول - هذا قید وصفی ، يعني أن أي قتل للنبي هو بغير الحق ، ليس قیدا احترازیا ، إنما هو قید وصفی ، ومن شأن قتل الأنبياء أن يكون بغير الحق ..

( إِنَّ الَّذِينَ يَكُفِرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ )

## 2 - الكفر بآيات الله الكونية والتکوینیة والقرآنیة :

وآيات الله كما تعلمون ، آيات الله الكونية الدالة على عظمته ، وآيات الله القرآنیة الدالة على علمه ، وآيات الله الفعلیة الدالة على حكمته ، فحينما يکفر الإنسان بها أي لا يعبأ بها ، ولا يتخذها وسیلة لمعرفة الله عز وجل ، وبال مقابل هذا الذي أمره ونهاه ، وهذا الذي أعطاه منهجا ، يتوجه أن هذا المنهج سیحُّ من حركته ، ويلغي حریته في الحركة ، مثل هذا الإنسان ، كما قال الله عز وجل ، يکفر بآيات الله ويقتل النبيین بغير حق ، بل ..

( وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ )

وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

## لا أحد أشقى ممن يقف ضد الحق :

فلا أرى أن في الأرض أشقي ممن يقف ضدَّ الحق ، ممن يقف معادياً لأهل الحق ، ممن يكون في خندق مضادٍ لخندق المؤمنين ، هذا أشقي إنسان على الإطلاق أن تكون مناهضاً للحق وأهله ، أن تكون عدواً للمؤمنين ، أن تكون عدواً لوحى السماء ، هؤلاء أشقي الناس على الإطلاق ، وأنكِر بقوله تعالى : ( إنْ تَثُوْبَا إِلَيَّ اللَّهِ فَقَدْ صَغَّتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ )  
وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4) )

سورة التحريم

هـما امـرـاتـان ؛ حـفـصـة وـعـائـشـة ، لـهـمـا شـأـنـ مع رـسـوـل الله ، فـالـرـدـ كـانـ :

(فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِيرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ )

في حياتنا المادية أيعقل أن امرأتين انتقدتا النظام يستنفر الجيش كلها ، والقوى الجوية كلها ، والقوى البحرية كلها ، والقوى البرية كلها ، وكل أفراد الشرطة ؟ غير معقول ، فما معنى الآية ؟ قال الله عز وجل : إن أردت أن تكون عدواً للحق ، مناهضاً له ، فاعلم مَنْ هو الطرف الآخر ، الطرف الآخر هو الله ، ورسوله ، وجبريل ، والملائكة ، وصالح المؤمنين .

إذاً : أشقي إنسان على الإطلاق هو الذي يناهض الحق وأهله ، هو الذي يعادي الله ورسوله ، هو الذي يؤذى المؤمنين ، هو الذي يبني مجده على أنقاضهم ، هذا إنسان من أشقي البشر ..

( إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بَغْيًا وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ )

**يقول عليه الصلاة والسلام :**

(( بَنْسُ الْقَوْمِ قَوْمٌ يَقْتَلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ، بَنْسُ الْقَوْمِ قَوْمٌ لَا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، بَنْسُ الْقَوْمِ قَوْمٌ يَمْشِي الْمُؤْمِنُونَ بَيْنَهُمْ بِالْتَّقْيَةِ ))

[ فيض القدير عن ابن مسعود ]

بئس هؤلاء ، بئس القوم قومٌ خافهم المؤمن ، بئس القوم قومٌ مشى بهم المؤمن بالثقة ، يخاف أن يعلن إيمانه ، بئس القوم قومٌ يقتلون المؤمنين ، يقتلون الذين يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ..

(أولئك الذين حبّطتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ)

**أوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبَطُتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ**

## **١- المسلم بعمله الصالح :**

مَنْ أَنْتُ ؟ أَنْتَ عَمَلُكَ الصَّالِحَاتِ ، بِعَمَلِكَ الصَّالِحَاتِ تَسْلُمُ وَتَسْعُدُ وَتَرْقُى ، فَإِنْ كَانَ عَمَلُكَ سَيِّئًا أَنْتَ أَشْقَى النَّاسَ ، هَذَا :

(أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبَطُوا أَعْمَالَهُمْ)

## 2 - هَذَا يَحْبِطُ الْعَمَلَ :

أي أن عملهم صار شريراً ، طابعه الشر ، أو عملهم مقبول ، لكن نوایاهم ليست سليمة ، أنت قد تكون بعمل ظاهره مقبول ، لكن النوايا دنيوية ، النوايا شهوانية ، النوايا مكاسب ، فحينما تكون النية سيئة يُحْبِطُ العمل ، أو حينما يكون العمل سيئاً لا قيمة لنيته ، فشرطان كلّ منهما لازمٌ غير كافٍ ؛ ينبغي أن يكون عملك صواباً ، وفق منهج رسول الله ، وينبغي أن يكون عملك خالصاً لوجه الله ، فإن فعلت هذا وذاك ، كان الله معيناً لك ..

(أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبَطُوا أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا)

عَنْ ثَوْبَانَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

((لَا عَلِمْنَا أَقْوَاماً مِنْ أَمْتَيِّ يَائِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتِ أُمَّالٍ جِبَالٍ تِهَامَةَ بِبِيضاً فِيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَتَّوراً ، قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا ، جَلَّهُمْ لَنَا ، أَنْ لَا تَكُونَ مِنْهُمْ ، وَتَحْنُ لَا تَعْلَمُ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ ، وَمَنْ جِدَتْكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلُوا بِمَحَارِمِ اللَّهِ اشْتَهَوْهَا ))

[ابن ماجه]

## 3 - أَخْطَرُ شَيْءٍ أَنْ تَكْتُشِفَ أَنَّكَ لَسْتَ مَفْلَحاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ :

أَخْطَرُ شَيْءٍ أَنْ تَكْتُشِفَ أَنَّكَ لَسْتَ مَفْلَحاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، الدُّنْيَا تَنْتَهِي ، وَالْمَوْتُ يَنْهَا كُلَّ شَيْءٍ ، يَنْهَا قُوَّةُ الْقُوَّى ، وَيَنْهَا غَنِيَّةُ الْغَنِيِّ ، وَيَنْهَا وَسَامَةُ الْوَسِيمِ ، وَيَنْهَا صَحَّةُ الصَّحِيفِ ، وَيَنْهَا مَرْضُ الْمُرِيبِ ، وَالآخِرَةُ عُمُلُّتُهَا الرَّاجِهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْخَالِصُ لِوَجْهِ اللَّهِ ، فَإِنْ كَانَ لَكَ عَمَلٌ صَالِحٌ لِيُسَمِّحَ لَكَ بِهِ وَلَوْ أَنْ نِيَّتَهُ صَالِحةٌ لَا قِيمَةَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَلَا تَنْسُوا هَذِهِ الْحَقْيَقَةَ : أَنْ يَكُونَ خَالصاً وَصَوَاباً ، خَالصاً مَا ابْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ، وَصَوَاباً مَا وَافَقَ السَّنَةَ .

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(( من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر فهو خليفة الله في الأرض ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه ))

[ من الجامع لأحكام القرآن عن الحسن ]

وسأل النبي رجل من أصحابه قال : يا رسول الله من خير الناس ؟ قال :

(( أمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر ، واتقاهم لله ، وأوصلهم لرحمه ))

[ من تحرير أحاديث الإحياء عن درة بنت أبي لهب ]

( المُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَا عَنِ الْمَعْرُوفِ )

( سورة التوبة : من الآية 67 )

( وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكُمْ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ )

( سورة التوبة : من الآية 67 )

أيها الإخوة الكرام ... في قوله تعالى :

( إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ )

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) ( أولئك الذين حبطة أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين )

#### 4 - ينبغي تغيير المنكر بمراتبه وضوابطه الشرعية :

هناك حقيقة ينبغي أن تكون واضحة لديكم ؛ أنت حينما ترى منكراً ينبغي أن تقوّمه ؛ بيده إن كنت أميراً ، وب Lansanak إن كنت عالماً ، وبقبلك إن كنت ضعيفاً ، فتقويم المنكر باليد من أولى خصائص النساء ، وتقويم المنكر باللسان من أولى خصائص العلماء ، وتقويم المنكر بالقلب من صفات الضعفاء ، هذه ناحية .

الناحية الثانية : إذا كنت قادراً على أن تقوّم المنكر بيده ، ليس مقبولاً منك أن تقوّمه بلسانك ، وإن كنت قادراً على أن تقوّمه بلسانك ، ليس مقبولاً منك أن تقوّمه بقبلك ، هذه مراتب أيضاً ، وحينما لا نأمر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر يعذنا البلاء ، وهذا معنى قوله تعالى :

( وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً )

( سورة الأنفال : من الآية 25 )

والله عزّ وجل لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها - قال : مصلحون ، ولم يقل : صالحون - الصالح الذي لا يأمر ولا ينهى يهلك ، أما المصلح فهذا الذي ينجو من عذاب الله .

وقال عليه الصلاة والسلام :

(( لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه ، قالوا : يا رسول الله ، وما إذلال نفسه ؟ قال : يتعرض من البلاء لما لا يقوم له ))

[ من الجامع لأحكام القرآن عن أبي هريرة ]

أنت لست مكلفاً أن تأمر بمعروفٍ ، أو أن تنهى عن منكرٍ ، وتأتيك مصيبةٌ بعدها لا قيل لك بتحمّلها ، هذا ما كلفك الشرع به ، إن نتج عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنّة أشد من المنكر الذي تنكره ففي هذه الحالة يقرر علماء الفقه أنه ليس عليك أن تنكر هذا المنكر ، لأنك لا تتحمل نتائج ما تنكر .

ورد حديث عن أنس بن مالك قال : قيل : يا رسول الله ، متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال :

(( إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم ، قلنا : يا رسول الله ، وما ظهر في الأمم قبلنا ؟ قال : الملك في صغاركم ، والفاحشة في كباركم ، والعلم في أرذلكم ))

[ ورد في الأثر ]

إذا كان العلم في الفساق ، كإنسان يحمل شهادات عليا ، لكنه فاسق ، فعندئذٍ كما قال عليه الصلاة والسلام :

(( ... بل انتصروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحّاً مطاعاً ، وهو مُتبعاً ، ودُنْيَا مُؤثرةً ، وأعجباباً ذليلاً رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام ، فإن من ورائكم أياماً الصبور فيها مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهنَّ مثل أجر حمسين رجلاً يعملون مثل عملكم ))

[ الترمذى عن أبي ثعلبة الخشنى ]

وإذا كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنّة أشد من المنكر الذي تنكره ، عندئذٍ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

وقد ورد في بعض الأحاديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(( إذا كان أمراؤكم خياركم ، وأغنىاؤكم سمحاءكم ، وأموركم شورى بيتك ، فظهر الأرض خير لكم من ، بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنىاؤكم بخلاءكم ، وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها ))

[ الترمذى عن أبي هريرة ]

ومن علامات آخر الزمان أن ترتفع النحوة من رؤوس الرجال ، وأن يذهب الحياة من وجوه النساء ، وأن تنزع الرحمة من قلوب النساء ، فلا رحمة في قلوب النساء ، ولا حياة في وجوه النساء ، ولا نحوة في رؤوس الرجال .

ثم يقول الله عز وجل :

( أَلْمَ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثَوا نُصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّ فُرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرَضُونَ )

أَلْمَ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثَوا نُصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ

## 1 - سبب نزول هذه الآية :

ورد في أسباب نزول هذه الآية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدرس على جماعةٍ من يهودٍ فدعاهم إلى الله ، فقال نعيم بن عمرو :

- على أي دين أنت يا محمد ؟

- فقال النبي : إني على ملة إبراهيم .

- فقالا : إن إبراهيم كان يهودياً .

- فقال النبي عليه الصلاة والسلام : فهموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم .

فأببا عليه ، فنزلت هذه الآية :

( أَلْمَ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثَوا نُصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّ فُرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرَضُونَ )

هؤلاء اليهود الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ، والذين يرفضون أن يحتكموا إلى الكتاب ، ما الذي حملهم على ذلك ؟ قال :

( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَى أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ )

## 2 - مشابهة المسلمين لليهود في بعض أقوالهم وأفعالهم :

وهؤلاء الذين قالوا : إن النبي صلى الله عليه وسلم سيسفع لنا ، ولو فعلنا ما فعلنا ، هذا المرض نفسه ، أنت إما أن تتعلق بالحقائق ، وإما أن تتعلق بالأمني ، والله عز وجل يقول :

( لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ )

( سورة النساء : من الآية 123 )

فاليهود قالوا :

( لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ )

وال المسلمين قالوا : نحن أمة محمدٌ مرحومة ، إذا فعلوا ما تشاوون ، هذه فرية ما أنزل الله بها من سلطان ، هذه مقوله قلناها نحن ، لكن الله عز وجل يقول :

( أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلْمَةُ الْعَذَابِ أَفَإِنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19) )

(سورة الزمر)

عن أبي هريرة قال : لَمَّا أَنْزَلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ : ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبَيْنَ ) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُرَيْشَا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ :

(( يَا بَنِي كَعْبٍ بْنُ لَوَيْيٍ ، أَنْقَذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ ، يَا بَنِي مُرَّةٍ بْنُ كَعْبٍ ، أَنْقَذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدٍ شَمْسٍ ، أَنْقَذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدٍ مَنَافٍ ، أَنْقَذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ ، يَا بَنِي هَاشِمٍ ، أَنْقَذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَنْقَذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةَ ، أَنْقَذِي نَفْسَكِ مِنْ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنْ لَكُمْ رَحِيمًا سَابَّهَا بِبَلَاهَا ))

[مسلم]

( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ )

ذلك بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

## 1 - يخترون عقائد زائفة ثم يصدقونها :

هم يفترون ما يشاون ، ثم يصدقون ما يفترون ، شيء مضحك ، إنسان اخترع شيئاً ، ثم صدقه ، هو اخترع مجموعة عقائد زائفة زائفه فاسدة ، ثم تعلق بها واتخذها حجة ، واطمأن إلى مصيره المستقبلي. هناك مثل سأضربه لكم : طالب أو همه زميله الكسول أن المدرس يعطي السؤال قبل يومين من الامتحان مقابل هدية معينة ، فهذا الطالب استراح ، عام بأكمله لم يدرس فيه كلمة ، على أمل أنه قبل الامتحان يذهب إلى المدرس ، ويقدم له هدية ، فيعطيه السؤال ، ما الذي غره في هذا المدرس ؟ كلام صديقه الكسول ، ثماكتشف فجأة أن المدرس نزيه جداً وطرده من البيت ، وخسر العام كله .

هذا المثل البسيط لو كبرناه ؛ أو همك رجل أن الله غفور رحيم ، الله لا يدفق ، الله غفور رحيم ، كل أمة محمد مرحومة ، " حط رأسك بين الرؤوس وقل : يا قطاع الرؤوس " ، لا يصير شيء ، ضعها

برقبتي ، هذا كلام العوام ، فكيف إذا فوجئت أنك سوف تحاسب عن كل شيء ؟ عن كل بسمة ، وعن كل قرش أكلته حراماً ، وعن كل كلمة لم تكن صواباً ، وعن كل حركة لم تتبع به وجه الله ..

( فَوَرَبَكَ لَتَسْأَلُهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93) )

( سورة الحجر )

لكن ماذا تفعل بقوله تعالى :

( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) )

( سورة الززلة )

ماذا تفعل بقوله تعالى :

( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْذَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47) )

( سورة الأنبياء )

## 2 - ما الغرور ؟

ماذا تفعل ؟ في أيها الإخوة ما الغرور ؟ أن تتوهم عن الله أشياء ليست صحيحة ، هو منزه عنها ، أما الجواب الصاعق :

( فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُقِيتُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ )

أين الأماني ؟ أين الأحلام ؟ أين التوهمات ؟

( فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُقِيتُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ )

إذًا : معنى قوله تعالى :

( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ )

## 3 - صَحَّ اعْتِقَادُكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا :

لذلك أيها الإخوة الكرام ، يا أيها المؤمنون امسحوا عقائدكم ، اعملوا جرداً ، فأية عقيدة لا تتوافق الكتاب والسنة ابندوها ، وإلا هي مدمرة ، لأن كل خطأ بالاعتقاد يقابل خطأ في السلوك ، لابد من أن تتحقق ما ترسّب في نفسك خلال هذا العمر ، هل هناك عقيدة غير صحيحة ؟ هل هناك غرور معين ؟ هل هناك اغترار بالله ؟ هل هناك حديث موضوع تظنه صحيحاً ؟ هل هناك وهم تظنه حقيقة ؟ لأن هنا مشكلة ..

( فَدُرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَفُونَ (45) )

( سورة الطور )

هناك صعق ، فهم اعتقدوا أنه ..

( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَقْتَرُونَ )  
فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِيتُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ )

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِيتُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

كيف يكون حالهم ؟ أو كيف يصنعون إذا حشروا يوم القيمة ، واضمحلت عنهم تلك الزخارف التي ادعوها في الدنيا ؟ وجوزوا بما كسبوا من كفرهم واجترائهم على الله عز وجل ليوم ..  
( لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِيتُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ )

اخراج من الدنيا وليس لأحد عليك مظلمة في مال وعرض ودم :  
تلك الحقيقة المرة فابحث عنها ، وأعرض عن الوهم المريح ، والحساب دقيق ، والله عز وجل عادل ،  
فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال :

(( كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَيَ بِجَنَازَةٍ فَقَالُوا : صَلَّى عَلَيْهَا ، فَقَالَ : هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا ؟ قَالُوا : لَا فَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَتَيَ بِجَنَازَةً أُخْرَى ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهَا ، قَالَ : هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ ؟ قَيْلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا ؟ قَالُوا : ثَلَاثَةٌ دَيَانِيرٌ ، فَصَلَّى عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَتَيَ بِالثَّالِثَةِ ، فَقَالُوا : صَلَّى عَلَيْهَا ، قَالَ : هَلْ تَرَكَ شَيْئًا ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَهَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ ؟ قَالُوا : ثَلَاثَةٌ دَيَانِيرٌ ، قَالَ : صَلَّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ : صَلَّى عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَعَلَيَّ دَيْنُهُ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ))

[ البخاري ، والنسائي ، وأحمد ]

يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين ، فتفقول لي أنا : أحج وأعود كيوم ولدنتي أمي ، أقول لك : لا ، هذا فهم ساذج ، في الحج لا يغفر إلا ما كان بينك وبين الله ، ما كان بينك وبين العباد لا يغفر إلا بالأداء أو المسامحة ، تقول لي : أنا صمت رمضان إيماناً واحتساباً ، أقول لك : صيامك لرمضان يغفر لك ما كان بينك وبين الله ، وما كان بينك وبين الناس لا يغفر إلا

والحمد لله رب العالمين